الأهرام

الكنيست الثامن عشر.. ونيتانياهو الثاني

بعد أن بدأ العد التنازلي، وعلى مسافة أقل من شهرين، بات من الممكن الآن تشخيص ملامح جنين الخريطة السياسية التي ستخرج الى النور عشية يوم١٠ فبراير٢٠٠٩، بعد فرز الأصوات في صناديق اقتراع الانتخابات الإسرائيلية الجديدة.. المبكرة.

هذا الحدث السياسي لم يعد أمرا محليا فقط يخص إسرائيل وحدها، لاعتبارات عديدة ليس أقلها أن التنافس الذي يجري بين الأحزاب السياسية في هذه الانتخابات يدور، في جانب كبير منه، حول القضايا العربية والإقليمية التي تقع في صميم وصلب شواغلنا واهتماماتنا. وقد يكون تردد الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في اتخاذ قرارات مصيرية وحاسمة بشأن هذه القضايا واحدا من الأسباب التي أدت الى أزمة عدم الاستقرار السياسي هناك، والتي يجري التعبير عنها في اللجوء المتكرر للانتخابات المبكرة.

د. سمير غطاس

فمنذ التوقيع على اتفاقات أوسلو عام١٩٩٣ جرى اغتيال رئيس الوزراء إسحق رابين على خلفية اتهامات اليمين له بالتنازل أمام عرفات، وأكمل شيمون بيريز ولاية حزب العمل على رأس الحكومة قبل أن يسقطه بنيامين نيتانياهو في انتخابات يونيو١٩٩٦، الذي لم يكمل بدوره ولايته الى نهايتها بعد أن فاز عليه إيهود باراك في الانتخابات المبكرة التي جرت في يوليو١٩٩٩. ثم عاد الليكود بزعامة أرييل شارون فأطاح باراك في انتخابات أخري مبكرة جرت في مارس٢٠٠١، واضطر شارون نفسه الى خوض انتخابات جديدة مبكرة فاز بها في فبراير٢٠٠٣، قبل أن يخرج من حظيرة الليكود ويشكل حزب كاديما الذي فاز بالانتخابات المبكرة التي جرت هناك في مارس٢٠٠٥. وكانت القضايا العربية والإقليمية حاضرة دائما على رأس قائمة البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية المتنافسة في كل هذه الانتخابات، لكن المناخ السياسي العام الذي ستجري في ظله الانتخابات المبكرة الجديدة في فبراير يشير الآن الى ميل واضح لترجيح كفة معسكر أحزاب اليمين بقيادة نيتانياهو وحزب الليكود لخلافة الائتلاف الحكومي الذي ترأسه حزب الوسط كاديما بالتحالف مع حزب العمل.وبرغم أن هذا الأمر لم يحسم تماما بعد، فإن ظاهرة عودة الى مين القومي والديني بقوة الى تصدر نتائج أغلب استطلاعات الرأي هناك، تبقي بحاجة الى تفسير وتحليل في ظل الأوضاع الإسرائيلية المتداخلة والمعقدة، التي قد لا تسعفنا فيها التحليلات النمطية وسابقة الصنع. ففيما يرى البعض، حتي في إسرائيل، أن الميل المتعاظم لتأييد معسكر اليمين يؤشر للاتجاه العام الذي يسير فيه المجتمع الإسرائيلي الآن، فإن البعض الآن بالمقابل يرىأن الفرصة التاريخية متاحة لإيجاد بديل سياسي لليمين المتطرف في إسرائيل، لأنه بموازاة الميل الذي تظهره الآن نتائج استطلاعات الرأي لدعم الليكود واليمين فإن هناك ظواهر سياسية أخرى تصب في الاتجاه المعاكس. فحزب كاديما، برغم تراجعه، مايزال ينافس على المضمار نفسه، كما شهد يوم٢٦/١١ الماضي توقيع٢٠٠٠ شخصية إسرائيلية مهمة، منهم١٤٠٠ شخصية من كبار الجنرالات والقادة السابقين في الجيش الإسرائيلي، وفي جهازي الموساد والشاباك، وقادة السلك الأكاديمي، ورجال الاقتصاد في مجلس السلام والأمن على وثيقة تطالب كل الأحزاب المتنافسة في الانتخابات المقبلة بوضع موافقتها على مبادرة السلام العربية على رأس برامجها الانتخابية.

ومع ذلك فإن الميل لتأييد معسكر اليمين يبدو منطقيا ومتسقا مع حالة الإحباط وعدم اليقين التي تسكن قطاعات غير قليلة من الجمهور الإسرائيلي نتيجة عدد كبير من العوامل التي ربما من أهمها ما يلي:

١ . إن حكومة كاديما لم تحسم قرارها حول الطريقة التي يمكن أن تتعامل بها مع ملف الخيار النووي الإيراني.

٢ . إن كاديما تراجعت تماما عن تنفيذ برنامجها للانطواء أو للانسحاب أحادي الجانب من مناطق واسعة في الضفة الغربية.

٣ . إن العمليات التي نفذتها إسرائيل خاصة لقصف العمق السوري وتصفية عماد مغنية في قلب دمشق برغم تحسينها النسبي لميزان الردع، فإنها مع ذلك لم تكن كافية لمعالجة الإحساس العميق بتآكل الردع، والارتياب في المناعة الأمنية بعد حرب لبنان وتقرير فينوجراد.

٤ .إن المجتمع الإسرائيلي لا يبدو ناضجا ولا مستعدا الآن لدفع ثمن الأرض مقابل السلام، وبرغم أنه يؤيد التفاوض على المسارين الفلسطيني والسوري لكنه يجفل من المضي قدما باتجاه الحسم.

وربما لهذه الأسباب الأربعة يتوقع أن يتشكل الكنيست المقبل الثامن عشر من١٢ حزبا تحصد فيها أحزاب اليمين القومي والديني على الأقل نصف مقاعده البالغ مجموعها١٢٠ مقعدا، في مقابل حصة لن تتجاوز ثلث المقاعد التي حصل اليمين عليها في الانتخابات السابقة. والى جانب ذلك فإنه يمكن رصد ملامح صورة الخريطة الإسرائيلية السياسية الجديدة بعد الانتخابات على النحو التالي :

١ . قد ينجح حزب الليكود بقيادة نيتانياهو في مضاعفة عدد مقاعده مرتين ونصف المرة الى ثلاث مرات في الكنيست ويرفعها من١٢ الى ما فوق٣٠ مقعدا.

٢ . إن حزب كاديما خلافا للكثير من التوقعات لن ينهار، وبرغم تراجعه لاتزال فرصة قوية للمنافسة وربما الفوز، إذا ما توافرت له بعض الشروط الضرورية.

٣.إن حزب العمل الذي أسس دولة إسرائيل واحتكر قيادتها حتي عام١٩٧٧ قد تهبط مقاعده من١٩ الى ١٥ مقعدا فقط، وهو ما يطرح الأسئلة حول مصير هذا الحزب نفسه وليس مصير قيادته فقط.

٤ . إنه قد لا يطرأ تغيير على قوة تمثيل الأحزاب العربية(نحو١٠ مقاعد)، وحزب شاس الذي يمثل اليهود المتدينين من أصل شرقي(١١ مقعدا)، وحزب إسرائيل بيتنو لليهود الروس(١٠ مقاعد)، بينما قد يحصل حزب ميريتس اليساري على مقعد إضافي(٧ مقاعد). والشيء نفسه قد يحصل لحزب يهوديت هتوراة الذي يمثل الطوائف الدينية الغربية الأصولية(٧ مقاعد).

٥ .إن هناك توجها لدى تيارات كل اليمين واليسار لتكوين أحزاب سياسية جديدة، وبينما أعلن فعلا عن تشكيل حزب يميني جديد يسمى البيت اليهودي يتوقع أن يحصل على٦ مقاعد فإنه لم يعلن عن ولادة الحزب اليساري الجديد.

٦ . إن الكنيست الجديد سيشهد اختفاء حزب المتقاعدين في مقابل ظهور حزب جديد هو حزب الخضر الذي يتوقع أن يحصل على٣ مقاعد، وهو غير حزب الورقة الخضراء الذي يدعو الى إباحة تعاطي الحشيش ويخوض كل الانتخابات ولم يحصل من قبل على أي مقعد.

٧ . إن الانتخابات التمهيدية لتشكيل قائمة الليكود شهدت صعودا مدويا لممثلي التيار الأكثر يمينية وتطرفا.

٨ . إنه برغم الاقتراب من موعد الانتخابات في فبراير المقبل، فإن هناك فرصة سانحة في إسرائيل قد تحدث تغييرا في النتائج التي تتحدث عن فوز كبير لليود، إذا توافرت شروط ثلاثة هي:

(أ) أن يعلن كل من حزبي كاديما والعمل بشكل قاطع رفضهما المبدئي للمشاركة في أي حكومة بقيادة الليكود، لأن ذلك سيؤجج هواجس الناخب الإسرائيلي من حكومة يمينية متطرفة.

(ب) يدور الحديث هناك عن احتمال لتشكيل قائمة موحدة لكاديما والعمل يمكنها حينئذ تقليص الفجوة وربما الفوز على الليكود.

(جـ) قد تلعب الإشارات الصادرة عن الرئيس الأمريكي الجديد باراك أوباما دورا كبيرا في التأثير على توجهات الناخب الإسرائيلي.

٩ .إنه في حالة فوز الليكود فإنه قد يكون من الصعب جدا على نيتانياهو تشكيل الحكومة في ظل مراكز القوى من اليمين المتطرف في الليكود نفسه، وبالتالى صعوبة توزيع الحقائب الوزارية على شركائه من الأحزاب اليمينية الأخرى.

١٠ . أن نيتانياهو يحرص على غسل صورته الأولى، ويقدم نفسه على نحو مغاير يوحي بأن نيتانياهو الثاني غير الأول، وأنه يميل أكثر لاحتلال موقع يمين الوسط، وهو يحاول أن يوفق بين تعلقه بفلسفة جابوتنسكي الأب الروحي لليمين الصهيوني، وبين عالم أوباما الذي يرمز الى التغيير.

ويبدو أن مشكلة نيتانياهو ليست صورته الجديدة، وأن مشكلته تقع حقا مع حزبه لأنه إذا توجه فعلا صوب الوسط فقد يلقي من حزبه نفس مصير سلفه أرييل شارون، وإن سار مع حزبه في الاتجاه الى ميني المتطرف فإن نيتانياهو الثاني سيلحق بمصير نيتانياهو الأول. قد يكون علينا أن ننتظر لحسم كل هذه التوقعات في فبراير٢٠٠٩، لكن قد لا يطول بعدها الانتظار كثيرا للعودة الى الحديث عن انتخابات إسرائيلية جديدة ومبكرة أيضا، أما السلام فقد يتأخر الى ما بعد ذلك.

النهار

مع الاستياء المصري الدائم حيال طهران

عبدالله بشارة

ذكرت وكالة انباء فارس الايرانية في اخبارها يوم الاربعاء في العاشر من ديسمبر كانون الاول ٢٠٠٨ – ان مصر استدعت القائم باعمال المصالح المصرية في طهران عقب تظاهرة احتجاج نظمتها السلطات الايرانية امام المكتب المصري.

وفسّر المراقبون هذه الخطوة بأنها تضيف الى قائمة التعقيدات التي تتراكم امام محاولات تطبيع العلاقات المصرية – الايرانية التي قُطعت عقب الثورة الايرانية عام ١٩٧٩، وبعد اتفاقية كمب ديفيد.

كان وزير الخارجية المصري احمد ابو الغيط، استدعى القائم بالاعمال الايراني في القاهرة وابلغ اليه استياء مصر من تصرفات السلطات الايرانية، ومن المقالات التي تنشر في صحافة ايران، وتتهجم على مصر وقيادتها، والتي تصاعدت في الفترة الاخيرة.

لا اعتقد شخصياً ان هناك امكانية لتحسين العلاقات بين طهران الثورة ومصر الاعتدال، فلن تتبدل المواقف الايرانية من السياسة المصرية التي تتصادم جذرياً مع المشروع الايراني الثوري الذي تريد طهران ان يسود المنطقة، والذي نحرص كلنا – مجموعة الاعتدال الاقليمي التي تتشكل من مجلس التعاون ومصر والاردن والعراق ومنظمة التحرير – على تقويضه واحباطه، فهو مشروع عبثي هدام يوظف قواعد اقليمية مخرّبة مثل «حزب الله»، ومجموعة «حماس» و«الجهاد» بدعم من سوريا، ويسخر اموال النفط الايراني لتمويل هذه الآليات وتفعيلها ضد النظام الامني الاقليمي المعتدل الذي نسعى الى توسيعه، وهو جوهر مبادرة السلام العربية، وقاعدة (المفاوضات بين العرب واسرائيل) يعتمد على شرعية سياسية دولية ممثلة في قرارات مجلس الامن.

المشروع الايراني في حقيقته عمل استفزازي يتحدى الشرعية الدولية ويتجاسر على التوجهات التي تدفع بالاسرة العالمية الى تحقيقها، وهو مشروع تمرد يخرج عن قواعد السلوك المعترف بها، وباختصار البرنامج الاقليمي الايراني تخريبي يهدف الى القضاء على مسيرة السلام، لكن هدفه الاكبر اضعاف بنية الاعتدال الاقليمي وتعريض انظمتها للاضرابات، وتجريح حقها في تأمين مصالحها وتكريس سيادتها.

والواقع ان العلاقات المصرية – الايرانية تتعرض منذ نصف قرن للحساسيات والتجاذبات الاقليمية، فجّرها الرئيس عبد الناصر منتصف الستينيات عندما هاجم الشاه لاعترافه واقعياً باسرائيل، وهو الاعتراف الذي بدأ عام ١٩٤٩ وتطوّر الى تعاون امني وتسليحي ومخابراتي مع اشتداد العواصف بين طهران والقاهرة. في ٢٩ اغسطس ١٩٧٠، وقبل وفاة عبد الناصر بشهر، عادت العلاقات بين القاهرة وطهران، بعد وساطات من قبل تركيا والاردن.

في موضوع العلاقات بين الدولتين خلال عهد الشاه، ليس هناك مصدر اوثق واوضح من يوميات السيد اسدالله علم، رئيس الديوان الملكي من منتصف الستينيات حتى عام ١٩٧٨، عندما توفى اسدالله علم بمرض السرطان، اي قبل الثورة بسنة، ولم يكن «علم» رئيساً للديوان فحسب انما كان صديقاً ولصيقاً واقرب شخص الى الشاه الى حد اثارة غيرة الزوجة «فرح ديبا» التي كانت تشعر بأن الشاه واسدالله علم شركاء في جلسات خاصة، بعيداً عن عيون الآخرين بمن فيهم الزوجة المستاءة.

كانت سياسة الشاه تعظيم الدور الايراني في الخليج، ليتولى مسؤولية الامن والاستقرار فيه، وتوسيع رقعة النفوذ الايراني في الشرق الاوسط، بتعزيز العلاقات مع الاردن وتركيا والمغرب، وبالطبع مع دول الخليج والمملكة العربية السعودية، ولهذا انشأ جيشاً حديثاً، وطوّع اموال النفط لشراء آخر الاسلحة بما فيها بوارج حربية وطائرات، ونجح في تلقي الدعم الاميركي – البريطاني لسياسته في فرض المشروع الايراني في منطقة الخليج، هذه المرئيات تعتبرها القاهرة في العهد الناصري اضعافاً لدورها الاقليمي، وتحدياً لمسؤولياتها.

كان الشاه يكره عبد الناصر، ويرى فيه مغامراً مجهولاً وجد نفسه على رأس السلطة في دولة عريقة بامكانات بشرية وثقافية رائدة، سخرها الرئيس عبد الناصر لتوسعاته وتهديداته للآخرين.

في الصفحة ١٦٧، من يوميات اسدالله علم، يسجل علم: [في يوم ٣٠ اغسطس ١٩٧٠، تمت اليوم اعادة العلاقات المصرية – الايرانية، وفي حديثه عن هذه الخطوة يعلق الشاه، ان المصريين في وضع سيء، ومع ذلك تسمح لهم اعصابهم بتقديم اقتراح مصري – ايراني مشترك لتقرير مصير الخليج].

ويرد عليه اسدالله علم بأن المصريين اتوا الى ايران مضطرين بسبب تدهور علاقاتهم مع العراق، وعبر هذه الخطوة يمارسون الضغط على خصومهم في العراق، وفي رأى اسدالله علم، ان المصريين هم الرابحون من اعادة العلاقات.

كانت العلاقات العراقية – الايرانية متأزمة بسبب تخوف بغداد من الهيمنة الايرانية وعزم الشاه على احتكار طهران للشأن الخليجي.

في نوفمبر ١٩٧١، احتلت ايران الجزر، بعد اتفاق مع حاكم الشارقة على التقسيم في ابو موسى، وضم الجزيرتين، دون اهتمام بموقف حاكم رأس الخيمة، وبدعم كامل من بريطانيا واميركا.

ولم تأت تلك الخطوة فجأة انما كان الشاه يعلنها دائما، ويسجل اسد الله علم في يومياته، في يوم العشرين من اكتوبر ١٩٧٠، كرر الشاه الموقف باحتلال الجزر حتى لو لجأت ايران الى القوة ضد بريطانيا او العرب الذين يعترضون!

في ١٤ ديسمبر ١٩٧٠، قام وزير خارجية اسرائيل (ابا ايبان) بزيارة سرية لطهران، دون علم رئيس الوزراء، ويقول اسد الله علم في يومياته، بأن الشاه حض الوزير على تحقيق سلام مع العرب، لكن القصد من الزيارة هو تأمين استمرار وصول النفط الايراني الى اسرائيل، وتزويد ايران اسلحة ذات طابع خاص تصنعها اسرائيل.

كما تكشف يوميات اسدالله علم الكثير من الافكار الخاصة التي تنتاب الشاه حيال عبدالناصر، وحيال العرب ولاسيما اهل الخليج، حيث كان يردد ان الاردن ودول الخليج بما فيها السعودية وباكستان ومصر، كلها دول مضطربة غير مستقرة ستتلاشى حكوماتها لعجزها عن التطور وعن مواكبة التحولات العالمية. في التاسع من يوليو ١٩٧٢، طرد السادات عشرين الف مستشار عسكري روسي من مصر، وتشكل هذه الخطوة تحولا في اهتمامات الشاه نحو احداث مصر.

في السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣، بدأت حرب اكتوبر، ويسجل اسد الله علم، ان سفراء مصر والمغرب والسعودية والكويت ولبنان، قاموا بزيارة له احتجاجا على عدم اصدار ايران موقف مؤيد للعرب، ويجيب اسد الله علم ان العرب هم خصوم ايران، يتحدثون عن الجزر، ويبدلون اسم الخليج الفارسي، ويشنون الحملات السياسية والاعلامية على ايران.

في الثاني من سبتمبر ١٩٧٤، وصل اشرف مروان الى طهران حاملا رسالة من السادات، فاستقبله الشاه، كأول مسؤول مصري كبير يزور طهران بعد اعادة العلاقات.

في تلك الفترة بدأ الشاه يعطي الرئيس السادات اهتماما خاصا ويعزز مساعي السادات للوصول الى حل سلمي، ففي السابع من ديسمبر ١٩٧٤، اجتمع الشاه في طهران باسحاق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي الذي طلب منه دعم الاتصالات القائمة بين مصر واسرائيل.

في الاسبوع الاول من عام ١٩٧٥، وافقت ايران على تقديم اربعمائة الف طن من النفط الى مصر بأسعار مخفضة، تمهيدا لزيارة الشاه للقاهرة بدعوة من الرئيس السادات.

تطورت العلاقات لتشمل زيارة قام بها ولي عهد ايران الامير رضا للقاهرة في الثالث من يونيو ١٩٧٥، فاستقبله نائب الرئيس حسني مبارك.

وفي اليوم التالي يأخذه الرئيس السادات على ظهر المدمرة المصرية من بورسعيد الى الاسماعيلية، وكان رئيس الديوان اسدالله علم يرافق ولي العهد في هذه الرحلة.

ويودعه السادات طالبا نقل تحياته الى الشاه الذي يحتاج الى دعمه والى حكمته.

وتحمل اليوميات خلال السنوات من ١٩٧٥ الى ١٩٧٨ الكثير من الايجابيات في العلاقات بين البلدين.

مات اسدالله علم قبل الثورة الايرانية بعام واحد، ولم يسجل المشهد الدراماتيكي حيث وصل الشاه الى القاهرة منفيا، فيستقبله السادات بترحاب وبمودة خاصة، ويأخذه في نزهة الى الاقصر، ويخرج الشاه من القاهرة، باحثا عن مقر لاقامته، وتضيق به الدنيا، ثم يعود الى مصر ليدفن في القاهرة.

يقدم هذا السجل واقعا لا يمكن تجاهله، فتطور العلاقات المصرية – الايرانية هو مساهمة كبيرة في ترسيخ الامن والاستقرار الاقليمي، ومكسب للعقلانية يضفي اجواء منفتحة لتحقيق مسيرة التنمية الاقليمية.

وتخطئ ايران في اصرارها على التمادي في المواجهة وفي الاستخفاف بحقوق الآخرين وبشرعية مواقفهم.

وشخصيا لا اتوقع تبدلاً في الموقف الايراني، لكن المهم هو استمرار الاستفادة من كل فرصة توحي بروز تبدل في الموقف الايراني، لعل ايران تدرك عقم اطلاق الشعارات الملتهبة، فالشعب الايراني الذي يعاني مآسي يحتاج الى العيش الهادئ الكريم.

البيان

أوروبا تتكامل على وقع الخلافات

حسن عزالدين

على وقع الخلافات المرتبطة بالسيادة الوطنية والخوف من فقدانها، تشهد القارة الأوروبية في الوقت الحاضر سلسلة من النشاطات والتحركات التي ستحدد معالم التطور التاريخي المرتقب والمنهج النهائي الذي سيسلكه.

وانطلاقا من ذلك، فان نتائج القمة الأخيرة للاتحاد الأوروبي قد أضافت بلا شك مسحة تفاؤل على مشروع التكامل الكلّي، أخذا بعين الاعتبار أن الدول الأعضاء قد توافقت في ما بينها على سلسلة من القضايا التي ترضي الجميع وفق مبادئ الحلول الوسط.

وفي هذا السياق مُنحت أيرلندا، الدولة المشاغبة، فرصة إضافية لإظهار ولائها للخيار الأوروبي من خلال استفتاء شعبي جديد سيتم تنظيمه في المستقبل القريب، في حين أبدت القيادة التشيكية مرونة جريئة وجديدة في إظهار انتمائها الحقيقي لأوروبا، في وقت كانت فيه حتى الماضي القريب تعلن عن تشكيكها بخيار التكامل وفق السيناريو الذي كان متّبعا.

كل هذه المؤشرات صدرت فجأة بسبب سلسلة المقررات والإجراءات التي تم التوافق عليها، والتي شكّلت في بعض جوانبها تعديلا لبنود اتفاقية لشبونة التي صادقت عليها حتى كتابة هذه السطور معظم الدول الأعضاء باستثناء الدولتين المذكورتين أعلاه، أي أيرلندا وتشيكيا.

وبينما اعتبرت بعض الأوساط ما جرى بأنه اختراق دبلوماسي حقيقي يؤكد عدم رتابة وجمود الوضع داخل الاتحاد الأوروبي، احتج آخرون، وأبرزهم ممّن يوصفون بالمشككين في عملية التكامل الأوروبية، لأن ما جرى هو بمثابة تعديل للمقررات والبنود والمعايير التي كانت في صلب اتفاقية رسمية تمت المصادقة عليها من قبل معظم برلمانات الدول الأعضاء.

خلاصة القول هو أن ثمة فئة سياسية في أوروبا تصر على محاصرة جهود التكامل بشكلها الحالي ، لاعتقادها بأن ما يجري لن يساهم بتوحيد القارة الأوروبية ضمن أطر السيادة الحقيقية لكل دولة، بل سيؤدي في المحصلة النهائية لنشوء الدولة الخارقة كما يصفوها، ما سيعني ذوبان الدول الصغيرة في المحيط الواسع، واستئثار الدول الكبرى مثل فرنسا وألمانيا وبريطانيا بدائرة صنع القرار على الصعد كافة.

مؤخرا، برزت الى العلن مصطلحات جديدة باتت تعكس مجرى الأحداث في أوروبا، كما أظهرت بعض الوقائع بأن ما يجري سيكون له بلا أدنى شك تأثير على تطور حركة التكامل الأوروبي في المستقبل القريب، لأن الصراع بات على ما يبدو مكتملا بين تيارين سياسيين واضحي المعالم.

الأول موال للمبادئ الرئيسية التي قام عليها الاتحاد الأوروبي وترعرع من أجلها حتى وصل الى مرحلته الحالية، والثاني، الذي يصر على أن يطلق عليه وصف «الأوروبي الواقعي» لا المشكك بعملية التكامل، يحذّر من مخاطر ما يجري حالياً باعتبار أنه سيؤدي لفقدان السيادة الوطنية للدول الصغيرة.

لقد قدّم لنا تطور الأحداث خلال الأسابيع الماضية قراءة أوضح لما ستؤول اليه الأوضاع، حيث تبين بأن الصراع سيتخذ طابعا أكثر ثورية من ذي قبل، وسيساهم بفرز قوى سياسية جديدة تتحدث بشكل واضح وعلني عن رفضها لمشروع التكامل، مثل حركة «ليبرتاس» التي نشأت في أيرلندا، والتي تقوم في الوقت الحاضر باتصالات أوسع للتمدد الى الدول الأخرى الأعضاء في الاتحاد الأوروبي من خلال الأحزاب الى مينية المحافظة.

هذا التطور سيؤدي على ما يبدو لبعض الخضّات الكبيرة داخل الأحزاب المذكورة، وهو ما رأيناه مؤخرا في تشيكيا من خلال المؤتمر الاستثنائي للحزب المدني الديمقراطي، حيث قرر رئيس الجمهورية فاتسلاف كلاوس التخلي عن منصبه كرئيس فخري للحزب احتجاجا على السياسة الموالية للاتحاد الأوروبي والتي يمارسها الحزب المذكور من خلال الحكومة الائتلافية.

وبرغم الانتقادات التي يتعرض لها حالياً الرئيس التشيكي من كل حدب وصوب إن كان على الصعيد المحلي أم الإقليمي، لكن يبدو من تلك المؤشرات الكثيرة بأنه سيكون خلال المرحلة المقبلة من أبرز محرّكي الأحداث السياسية المرتبطة بحركة التكامل الأوروبي، وذلك انطلاقا من بعض الحقائق التي يمكن إيجازها على الشكل التالي:

لقد أظهر الرئيس كلاوس مواقفه بشكل علني غير قابلة للجدل إن كان قبل انضمام بلاده الى الاتحاد الأوروبي أو بعدها.

وهو يعتبر من صقور حركة المشككين بعملية التكامل ولذلك لم يكن أمامه خيار آخر على الصعيد المحلي سوى الانسحاب من حزب كان له الفضل الأساسي بتأسيسه، لأن هذا الحزب حاد حسب رأيه عن المبادئ الى مينية المحافظة التي لا يزال مع غيره من محافظي أوروبا يناضلون من أجل تكريسها كخيار يحكم عملية التطور الأوروبية.

وبرغم تمتعه بالإمكانات الدبلوماسية والثقافية الرفيعة، إلا أنه لم يتردد خلال قيامه بزيارة رسمية الى أيرلندا مؤخرا بالاجتماع مع ديكلان غانلي، مؤسس حركة ليبرتاس وأبرز مموّل للحركة الشعبية الأيرلندية المناهضة لعملية التكامل الأوروبي.

وإن دل هذا على شيء فأنه يدل على أن رموز حركة المشككين بعملية التكامل قرروا خوض المعركة بشكل مفتوح حتى لو أدّت لإشكال دبلوماسي رفيع مثلما جرى في أيرلندا، لاعتقادهم بأن الأمور باتت تفلت من أياديهم في ظل ما نشهده من تحركات دبلوماسية على أكثر من صعيد.

قد يقول قائل بأن ما يجري هو تطور سياسي عادي تحكمه ظروف التحركات الدبلوماسية وغيرها. لكن بعض الأمور الحساسة التي تكشّفت أمام من يراقب الأوضاع عن كثب أظهرت بأن التطورات التي نشهدها حالياً هي غير عادية حتما.

فمعسكرا الصدام مصرّان على خوض معركة انتمائهما العقائدية لاعتقادهما بأنها الأسلم والأفضل، في حين بدأت الأمور تتدهور بشكل ملفت للنظر، لدرجة أنها لم تعد تولي اهتماما لمعايير الاحترام المفترض توفرها في أثناء اللقاءات الرسمية بين ممثلي البرلمان الأوروبي ورئيس الدولة المفترض زيارته.

بالتأكيد، فان ما جرى خلال لقاء رئيس البرلمان الأوروبي والوفد المرافق له مع الرئيس التشيكي مؤخرا كان أكبر دليل على ذلك.